الحياة AL HAYAT
الثلثاء ١ تموز (يوليو) ٢٠٠٣ الموافق ١ جمادى الأولى ١٤٢٤هـ/ العدد ١٤٧٠٨
AL HAYAT TUESDAY 1 JULY 2003 ISSUE NO 14708

البعثة الأوروبية اجتازت «الخط الأحمر» وكرّمته طوال أسبوع

جمهور دمشقي يحتفي بعودة أدونيس شاعراً متمرداً... بعد خمسين سنة من الغياب

□ دمشق - خليل صويلح

■ تكاد تكون صورة أدونيس هي الصورة الأكثر التباساً في مرايا الثقافة السورية اليوم، فهذا الشاعر الكوني المولود في قرية «قصابين» على ضفاف البحر الأبيض المتوسط، طالما أبحرت سفنه خارج سياق المعجم الشعري السوري. وتعززت هذه القطيعة بعد قرار فصله من عضوية اتحاد الكتاب العرب عام ١٩٩٥، إثر مشاركته في مهرجان غرناطة ١٩٩٣، واتهامه بالتطبيع.

لكن صاحب «أغاني مهيار الدمشقي»، لم يلتفت كثيراً لفحوى هذا القرار، فهو لم يكن يوماً ما، جزءاً من تفكير هذه المؤسسة، وربما ابتهج لطي اسمه من قوائم أعضاء الاتحاد، ليواصل تيهه الفردي في منفاه الاختياري «باريس»، بعد رحلة تراجيدية بين أكثر من عاصمة عربية وعالمية، ولكن من دون أن يقطع صلته بمسقط رأسه «قصابين» هذه القرية الساحلية الصغيرة، التي شيّد فيها قبل سنوات بيتاً ومكتبة وقبراً، ربما كي تكون ملاذه الأخير.

ولعل الاحتفالية الاستثنائية التي أقامتها بعثة المفوضية الأوروبية في دمشق أخيراً، طوال أسبوع كامل، أثارت أسئلة عدة، عن مثل هذا الاحتفاء الذي بدا بالنسبة الى البعض مفاجئاً، إذ كان مجرد ذكر اسم صاحبها في منبر إعلامي سوري، يعتبر خطاً أحمر. واللافت في كلمة فرانك هيسكه، سفير المفوضية الأوروبية، انه اعتبر أدونيس أوروبياً، وأن اللقاء معه «سيسمح للسوريين التعرّف إليه في شكل أفضل، وأن يثمّنوا عمل أحد أبنائهم السوريين الأكثر شهرة اليوم»، وهو بذلك يستند الى قول لأدونيس: «أوروبا هي وجهي الآخر، هي أناي الأخرى، فبيني أنا الضفة الشرقية للمتوسط وبين ضفته الغربية ثمة وحدة انطولوجية، فأنا هو هذا الأنا وهذا الآخر مجتمعين».

مهما يكن الأمر تجاه الهوية المزدوجة لهذا الشاعر، فإن إعادة اكتشاف أدونيس، أم إعادة الاعتبار له رسمياً، أثارت غبطة لدى جمهور عريض من المثقفين السوريين.

واختار صاحب «الثابت والمتحوّل» فضاء معمارياً تراثياً هو «قصر العظم» في قلب دمشق القديمة، كي يكون مكاناً للقاء الأول بين الشاعر وجمهوره المتعطش الذي جاء قبل نحو ساعة على موعد الأمسية، ليحجز المقاعد، ومع ذلك بقي نصف الحضور تقريباً بلا مقاعد، فتابع الأمسية واقفاً. هكذا دخل أدونيس القاعة العريقة بين صفين من الشموع، وجلس وراء طاولة خشب تعكس صورته في مرايا معلقة على الجدار المقابل، وظهر في الصورة عازف القانون عماد ملقي الذي رافقه موسيقياً في إحياء الأمسية.

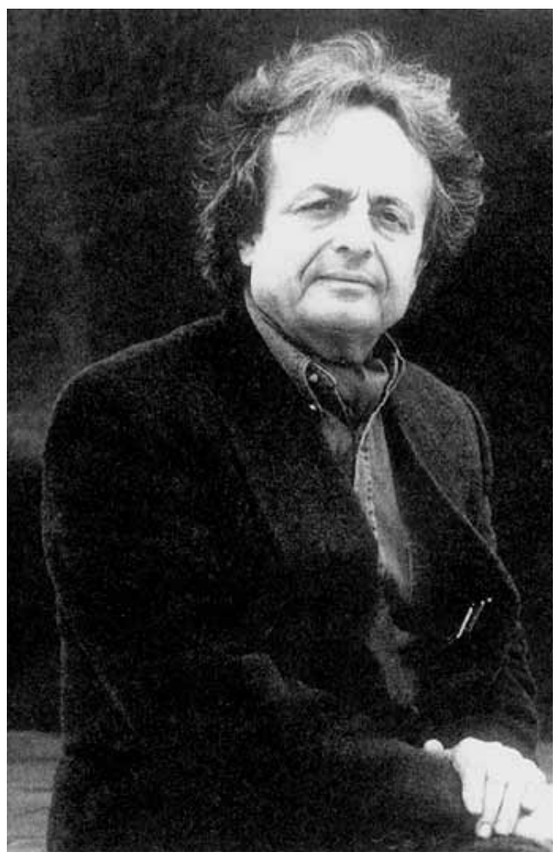

افتتح أدونيس الأمسية بعبارة موحية قالها مرة شارل فيرولو: «لكل إنسان في العالم وطنان: الوطن الذي ينتمي إليه، وسورية»، وبهذه العبارة أكّد مرة أخرى هويته المزدوجة وحيرته بين ضفتي المتوسط، وبين أدونيس، وعلي أحمد سعيد إسبر، والسبب ذاته قاده الى قراءة قصيدة قديمة له بعنوان «عبدالرحمن الداخل صقر قريش»، هذا الأمير الأموي الذي غادر دمشق هارباً، ليؤسس لاحقاً دولة الأندلس، وتلتها قصيدة شهيرة هي «قبر من أجل نيويورك» كان كتبها عام ١٩٧١، لكنها بدت هنا وكأنها في سياق احتجاجي على رمز أميركا اليوم. واختتم الأمسية بقصائد حب من ديوان جديد غير منشور تحت عنوان «أول الجسد، آخر البحر»، ليدخل في فضاء آخر، متوغلاً في تضاريس الجسد واحتدامات الأعضاء في رحلة مكابدات صوفية تتجاذبها ريح الحواس والمطلق.

الأمسية الثانية، استضافها المركز الثقافي الفرنسي، وقرأ أدونيس قصائد أخرى بمشاركة الشاعر الفرنسي آلان جوفروا، الذي قرأ هو الآخر قصائد بالفرنسية تستمد فضاءاتها من الشرق كقصيدته «اليمن، إحساس بالسعادة» وأخرى بعنوان «أدونيس، شاعر في عالم اليوم».

أما اللقاء الثالث مع صاحب «أغاني مهيار الدمشقي» فكان في قاعة المحاضرات في مكتبة الأسد الوطنية، في ندوة بعنوان «أدونيس الشاعر والمفكر»، أدارها حسان عباس، وقدّم خلالها فيصل درّاج ومحمد جمال باروت ومحمد علي الأتاسي شهادات في تجربة الشاعر. وقال فيصل درّاج في شهادته «الواحد والمتعدد»: «إن موضوع الإبداع عند أدونيس هو خروج على الواحد وتمرّد عليه وتجاوز لزمن والدخول الى زمن غير مسبوق». وأضاف الناقد الفلسطيني المعروف «لكل زمن إبداع يأتي به المفرد، وللأزمنة كلها «إبداعات» لا تختزل الى بعضها، مما يجعل النص الأصل، الذي جاء به زمن معين، نصوصاً / أصولاً، في أزمنة لاحقة». وأشار الى« أن أدونيس قد كسر النسق الشعري المتوارث، واستمر فيه بخبرة شعرية جديدة، تؤكد على اللايقين بصفته فضيلة كبرى». واختتم شهادته بقوله: «إن أدونيس صاحب أسئلة خلافية، قد نتفق معه أو لا نتفق، إلا أنه سيظل صوتاً شاسعاً للحرية».

وأوضح محمد جمال باروت في شهادته «موقع أدونيس التأسيسي في صوغ النظرية الشعرية العربية الحديثة»، ان أدونيس «امتاز بفاعليته النقدية التكوينية للنظرية الشعرية العربية، إذ كان أول من حاول أن يبلور في شكل ديناميكي مفهوماً نظرياً منظومياً للشعر العربي الحديث، في مرحلة أزمة النموذج الكلاسيكي الشعري العربي في النصف الأول من القرن العشرين. ويتكثف هذا المفهوم برمته في مفهوم الشعر/ الرؤيا. وهو ما قاده الى إعادة النظر جذرياً بالأسس المعرفية التي قام عليها المفهوم الكلاسيكي، وبالتالي، يضيف الناقد السوري، اتجه الى تقويض النموذج المعرفي والأصولي، وتأصيل نظرية فكرية لا تتأسس على مرجعية سابقة، إنما تتجاوزها الى قطيعة كاملة، سواء في قصائده الرؤيوية الطويلة، أم في قصائده القصيرة التي تنهار فيها الثنائيات بصفته شاعر الومضات والبروق والحدوس. فلغة أدونيس هي لغة التحولات الداخلية العميقة الملتهبة، وبالتالي فإن دخوله فضاء الصوفية كان نوعاً من صوفية المعرفة وليست صوفية المريد، وهو بهذا المعنى، حرر النص الموروث من قداسته المزعومة، وتمرّد على التصورات الكلانية باتجاه أزمنة ابداعية مفتوحة على ضفاف لا نهاية لها، تنسف اليقينيات الجاهزة، وتتطلع الى جمالية المحتمل».

وذهب محمد علي الأتاسي في شهادته «التباس دمشق في شعر أدونيس وحياته» الى ضفة أخرى من ضفاف أدونيس وأطيافه المتعددة، وقال: «لم يعش أدونيس إلا سنوات متقطعة وصعبة في مدينة دمشق، لكن هذه المدينة سكنت ولا تزال نصه الشعري كرمز وكمجاز وصورة. وهي حاضرة كذلك في سؤال الهوية الذي طالما شغل الشاعر في ترحاله المستمر بين البلدان والثقافات»، وأضاف: «دمشق في شعر أدونيس أكثر من كلمة وأبعد من جغرافيا، وأوسع من مكان، إنها الزمن المفتوح على تألق المعاني والتباسها وهي الجرح الغائر في النص الأدونيسي حتى عتبات اللامرئي بصفتها الممكنة والمستحيلة، فهي في المآل الأخير مدينة التماهي مع الهوية والخروج عليها». واستعاد الناقد السوري في شهادته صورة أدونيس الأولى التي تعود الى عام ١٩٤٤، حينما جاء بالقمباز الريفي من قريته الى مدرسة «اللاييك» في طرطوس، قبل أن يغادرها الى دمشق لدراسة الفلسفة في جامعة دمشق، والتعرف عن كثب الى هذه المدينة العصية والمضطربة آنذاك (أوائل الخمسينات)، وليكون من أوائل ضحايا تلك المرحلة السياسية التعسفية، إذ زُجّ في «سجن المزة» عام ١٩٥٤. وهكذا كان عليه بمجرد خروجه من السجن أن يغادر الى فضاء أكثر رحابة، هو فضاء بيروت. فدمشق كانت سجناً روحياً وفكرياً بالنسبة إليه. وفي بيروت أسس مع يوسف الخال «مجلة شعر»، ولاحقاً تفرّد أدونيس بإصدار مجلة «مواقف»، ومن بيروت الحرب الأهلية غادر الى باريس ومنها الى نيويورك وبرلين وجنيف، وظل بالنسبة الى دمشق مجرد عابر سبيل.

ويوضح محمد علي الأتاسي أن صورة دمشق، لم تظهر في أشعار أدونيس حتى عام ١٩٦٠ في ديوانه «أغاني مهيار الدمشقي»، وإن ظهرت على حافة اللغة قبل هذا التاريخ بأطياف مختلفة وتشكلات ذاتية كانت تنصهر في حركية النص. ولم تبرز صورتها الواضحة إلا عام ١٩٦٥ في ديوانه «كتاب الهجرة والتحولات» عبر شخصية «عبدالرحمن الداخل»، هذه القصيدة التي كلما ألقاها في أمسية يتهدج صوته ويبكي، ولهذا السبب اختتم الناقد شهادته بقوله: «ادخلها وتصالح معها شعراً وحرية ودموعاً».

وفي ختام الندوة، أجاب أدونيس عن أسئلة الحضور وعلّق بقوله: «سعادتي مزدوجة، أولاً بوجودي بينكم بعد غياب أكثر من نصف قرن عن جمهور دمشق على رغم انني لا أنكر أن دمشق حاضرة باستمرار في مشاعري وفكري وهمومي اليومية، أما الوجه الآخر لسعادتي فهو يعود الى مستوى القراءات النقدية الرصينة والعميقة التي استمعت إليها، والتي أعطتني أكثر مما أستحق».

وأضاف ان «الحقيقة ليست وصفة جاهزة، وهي لا تأتي من نص، إنما هي اكتشاف مستمر لا ينتهي، مثلها مثل الهوية التي هي أيضاً ليست جاهزة، إنما تتشكل في ما سنعمل، فالوجود الحقيقي للإنسان، ليس وراءه، وإنما أمامه، والعالم أيضاً ليس منتهياً، فهو متحرك على الدوام، فليس هناك من يزعم أنه يعبّر عن الأشياء تعبيراً نهائياً وحقيقياً». واختتم تعليقه بقوله: «أحسب نفسي كتلة من التناقضات، وعلى هذا الأساس، أنظر الى دمشق على أنها أكثر من مدينة، إنها رمز، ودمشق هي الأمة، وهي الأمَة، وهي ثالثاً «الأمْة». وبين التوصيفات الثلاثة لها، أنا غارق وعاشق وكاره وضائع».

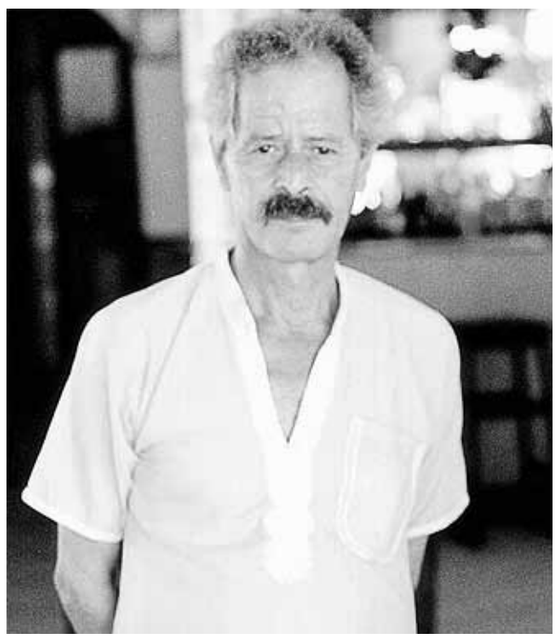

«مجنون الورد» في طبعة جديدة

سوداوية محمد شكري تذكّر بماضيه

□ لندن - مودي بيطار

■ أعاد محمد شكري إصدار «مجنون الورد» قبل أن يشتد عليه السرطان فيصارعه، مجموعة الكاتب المغربي الصادرة عن منشورات الجمل في كولونيا، المانيا، سوداوية قاسية تنسجم مع ماضيه المتشرد اليائس. شكري مسح الأحذية وعمل في المقاهي وإرشاد السياح واتسعت مواهبه وفقره للنشل وتقليد محمد عبدالوهاب. كان جاهلاً هامشياً تعلم القراءة والكتابة في التاسعة عشرة فباتت هاتان خلاصه بعد اصابته بانهيار عصبي في الستينات.

لا رفعة فنية في قصص «مجنون الورد» التي كتب معظمها في السبعينات. يسجل شكري حياة الشارع من دون أن يجمع تشرذمها في بنيان ينعطف فجأة ليغير الحركة، أو يلقي ضوءاً مختلفاً على المعاش العادي. يهجس بالصراع بين الفرد والجماعة، وتسطع العدمية في سعي الأول المسعور الى التفلت من تحكم الثانية. التهديد حاضر دوماً باتجاهيه نحو الطرفين في عالم عبثي قلق لا تحضر القوة فيه إلا في شكلها البوليسي الغاشم. حتى الغني في «بشير حياً وميتاً» يخسر ثروته وتتحول حياته في شكل صارخ، فإذا به يجمع الأعشاب حول المقابر ليطبخها. في «أشجار صلعاء» يهجم الوحش الكاسر على الراوي وهو حي، لكن عالم محمد شكري حافل بالوحوش الكاسرة في عالم بدائي غرائزي لا ينال المرء شيئاً فيه مقابل خضوعه لسلطة تنظم الاجتماع. لكن اليأس يمشي بمحاذاة الغضب، فمتمردو شكري يصغون الى طبيعتهم المتحدية الرافضة ويدفعون الثمن بدلاً من أن ينضموا الى القطيع ويسكتوا. خيط رفيع يبقى على صلتهم بالآخر هو ذاك الذي نجده في «العنف على الشاطئ» بين رجلين يتشابهان على اختلافهما. الرجل الذي يحتسي الشاي ويقدم بعضه للشريد ميمون هو نفسه هذا الشريد ولكن في مرحلة لاحقة. هما محمد شكري الآفّاق والكاتب الذي بقي يتزود من ماضيه عندما ابتعد عنه بالكتابة. ميمون يتبع غرائزه العدوانية والجنسية، ويبدو أنه يسترد عقله فقط عندما يتحدث عن صديقته جوتي التي هجرته الى بلادها استراليا. يواجه الآخرون خوفهم منه بالنبذ والمقاطعة ويدينون اختلافه عنهم بالاستناد الى سلطتهم الأخلاقية العليا. ميمون أنكر أباه رجل الدين الوقور «فحمل لعنة والديه أينما ذهب» (ص٢٤). إذا كان الدين والسلطة الوالدية لا يخضعان المتمرد، ما الذي يضمن الاعتماد على صدقية ميمون كرجل عادي آخر مستسلم كالآخرين للنظم الموضوعة؟ الراوي متمرد آخر على الجماعة بمحاولته الاقتراب من المتشرد وعقله المتفلت، والكرسي التي يجلس عليها منزلة بين منزلتين: الرفض والقبول. التماهي بين الرجلين والكاتب يجعل «العنف على الشاطئ» أفضل قصص المجموعة وأكثرها اثارة للاهتمام. ويعززها شكري بنهاية مفتوحة لا نعرف معها إذا كان ميمون غرق أم نجا بعد هجومه على سابحة واعتدائه عليها في مكان يجمع نقيضين ويمتحن الفرد. الشاطئ يكشف الأجساد وقد يؤجج الغرائز، لكنه أيضاً موقع للراحة والاستجمام، أي السلام الغافل «المتمدن» الذي يعيده ميمون باعتدائه الى وضعه البدائي، أجساد مستلقية تخاطب المخلوق الغريزي لا ذلك «المكيف» المتحضر.

نقرأ قصصاً ناقصة في «الشبكة» و«أمومة» وغيرهما وننتظر عبثاً حدوث شيء يضيء فجأة ويلتقطنا. يمشّط ولد الشاطئ عله يجد شيئاً يبيعه ويخفق قلبه عندما يجد فردة صندل بلاستيك عله يجد الفردة الأخرى بينما تنتظر والدته ساعات من تأخذها الى بيتها لتنظفه. هل هو العوز أيضاً ما يدفع شابة الى التفكير ببيع طفلها ثم التراجع: «أفضّل أن أبيع نفسي على أن أبيعه» (ص٤٣). ليست هناك فكرة واحدة غير عادية عن قلق الطفل حيال فقره أو شعوره نحو أمه، ولا نعرف إلا وجهاً واحداً للمحتال الذي يتاجر بالمواليد ويقبض العمولة. ويسخر شكري من القطيع في «العائدون» و«الضاحكون الباكون» فيشدد مرة أخرى على الاذعان والاختلاف ويتحيز للأقلية. يهرب سكان المدينة بعد التهديد بنسفها ولا يبقى فيها سوى «العاجزين والحمقى والمغامرين والحيوانات». يعود بعضهم و«عودتهم بدت لهم معقولة مثل رحيلهم» (ص ٣٨)، لكن البعض الآخر لا يعود تاركاً الحكمة للفئة المحتقرة. عادل الوافد الجديد على المدينة يفاجأ بسكانها يضحكون دوماً في كل أشكال تعاملهم كأنهم أصيبوا بلوثة في حين يحزن هو ويبكي. وإذ يصاب بالعدوى ويضحك يكتشف ان حالهم تحول الى البكاء، كأنهم محكومون بالتشابه وهو بالاختلاف. التعبير مكشوف ومسطح في «شهريار وشهرزاد» حيث يحمل كل الرجال الاسم الأول وكل النساء الاسم الثاني. يقولب المجتمع الأفراد ليصيروا نسخاً للصورة المرغوب فيها كأنه ينشئ جيشاً لا يتميز فيه أحد إلا القائد الخفي.

في «الكلام عن الذباب ممنوع» عبثية كافكاوية وثنائية الانا والسلطة البوليسية هنا. يخرج رجل من السجن بعدما عوقب لكتابته مقالاً يقول انه عن التسول، في حين يقول «مرافقوه» انه عن النشاط الجنسي للذباب. يجد صوره تملأ شوارع المدينة وتحذر من التعامل معه وسط جو من الرواية العلمية المستقبلية. الفرد مرة أخرى ضد الجميع، لكن وعيه بالواقع ليس صلباً: «قد يكون هذا الحكم مجرد تمثيلية بطلها أنا ومتفرجوها أهل هذه المدينة» (ص ٧٣). سلوك الأنظمة البوليسية يتجاوز التصور العقلاني لضحاياها وتقدير ما ارتكبته، وتنتهي القصة بولوج المحكوم عليه باب الصمت الأبدي وظهور عملاقين بثياب سود. غضب الكاتب يلفح في اللغة العصبية التي تنقل حركة الذعر في بضع قصص. في الصفحة ٣٧ يستخدم ١٣ فعلاً في ثلاثة أسطر، وفي «الفيء» يصور القتال المسعور حول قطعة خبز سوداء بين معدمين وسط قيء لا يردع ولا ينفر.

ينعي
قبلان نديم بك قنطرة
شقيقه
المأسوف على شبابه
بديع نديم بك قنطرة
يرحمه الله
تقبل التعازي في لبنان يوم
الاثنين والثلاثاء والأربعاء
30 حزيران - 1 تموز - 2 تموز
للاستفسار تلفون: 06/685441
وفي المملكة العربية السعودية.
يوم الخميس 3 تموز 2003
تلفون: 02/6530143 - 6692208
جوال: 055682858
فاكس: 02/6570548
Email.gsai@saudionline.com.sa
شارع الروضة - جدة - السعودية
Rawdah Compound (Ali Reza)

مؤتمر الثقافة العربية ينطلق اليوم في القاهرة

فكر عربي في مهبّ التحولات

□ القاهرة - حازم أبيض

■ يفتتح اليوم في القاهرة مؤتمر الثقافة العربية «نحو خطاب ثقافي جديد» الذي دعت اليه وزارة الثقافة المصرية، ويستمر لمدة ثلاثة أيام بمشاركة ٧٠ كاتباً ومفكراً عربياً.

وكانت الساحة الثقافيّة المصرية شهدت نقاشاً حاداً حول فكرة المؤتمر والخلفيات الفكريّة لتنظيمه... وهناك بين الكتاب المصريين والعرب من شكك في نيات منظّميه، ورأى في المبادرة نوعاً من الدخول في «الزمن الأميركي الجديد» الذي تلى سقوط النظام العراقي، و«فرض الوصاية الأميركية - البريطانية على المنطقة». ودار جدل في اوساط المثقفين خصوصاً بعد البيان الذي أصدره ستة من كبار الكتاب المصريين، المعروفين بمواقفهم النقدية من السياسة الرسمية، في مجالات الفكر والثقافة، انتقدوا فيه المؤتمر، واعتبروا أن هناك تعجلاً في عقده ولم يخطط له، ولم يكن مدرجاً ضمن نشاط المجلس الاعلى للثقافة.

وقال البيان الذي وقع عليه عبدالعظيم انيس وطارق البشري وجمال الغيطاني وصنع الله ابراهيم ورضوى عاشور ومحمد البساطي إن المحاور «تتحاشى ذكر القضايا الاكثر إلحاحاً على مثقفي الامة وشعوبها مثل الاحتلال الاميركي للعراق، والإبادة اليومية للشعب الفلسطيني، والمخططات الاميركية للهيمنة على المنطقة، ويكتفي بالحديث عن عصر مجتمع المعرفة وحرية الإبداع بعبارات مبهمة». وزاد من الجدل حول المؤتمر أن بيان «المثقفين الستة» جاء بعد رسالة وجهها الروائي الجزائري الطاهر وطار الى وزير الثقافة فاروق حسني رفض فيها دعوته للمشاركة في هذا المؤتمر، اذ وصفها بـ «استدعاء بلغة البوليس». وانتقد فكرة المؤتمر، معتبراً ان محاوره «تفضح توجهاً واضحاً الى الانسياق في الفلك الاميركي، والتوجهات الثقافية التي يرغب في فرضها على المنطقة العربية».

وردّ جابر عصفور، الامين العام للمجلس الاعلى للثقافة، على تهم الكاتب الجزائري، في تصريح لـ«الحياة»، معتبراً أن رسالة وطار «هي غزل صريح للجماعات الاسلامية التي تحالف معها». وأكّد عصفور أن حديث وطار عن وجود لهجة تسلطية في الدعوة الى المؤتمر «لا أساس له من الصحة». كما وصف بيان المثقفين المصريين بأنه «يفتقر الى الدقة، وينطلق من معلومات خاطئة تماماً... وكان في إمكان الموقعين عليه الرجوع الى أمانة المجلس للحصول على المعلومات الدقيقة». وقال عصفور إن المؤتمر يناقش في موائده المستديرة وجلساته مجموعة من القضايا بينها «تجديد الخطاب الديني، ونقد الخطاب الثقافي العربي، وحرية الإبداع، والنظام الاقليمي العربي والعالمي، والمشروع الثقافي العربي، والثقافة العربية في عصر المعرفة».

والسؤال المطروح على هامش انعقاد مؤتمر الثقافة العربية، تحت عنوان «نحو خطاب ثقافي جديد»، يتعلّق بالتحولات التي تشهدها الحياة الثقافية والفكريّة العربية، بعد التحوّل الذي عرفته المنطقة العربية. فهل حان وقت طرح أسئلة أخرى، بلغة جديدة وأدوات مغايرة؟... أم أن الحياة الفكريّة العربية ستبقى تدور في الحلقة المفرغة نفسها، بين عداء تلقائي للغرب، وولاء مطلق له.

رحل أخيراً عن ٨٢ سنة

عبدالله الطيب المجذوب عميد الأدب العربي

□ لندن -
محمود السيد الدّغيم

■ أخبرني الزميل نزار ضو النعيم منذ مدة أن الأديب عبدالله الطيب المجذوب يعاني مرضاً أصابه بعد جلطة دماغية، وقد عُولج في لندن وتحسنت أحواله، فنُقل إلى الخرطوم، ثم غادر المستشفى إلى منزله، وتعطل جهاز نطقه، وصار يتفاهم مع زواره كتابةً بناءً على نصائح الأطباء.

وأخيراً فاجأني الزميل نزار بورقة نعوة نَعَتْ فيها السفارة السودانية في لندن الفقيد الراحل عبدالله الطيب المجذوب، وجاء في النعوة: «ودّع السودان علماً فذّاً جليلاً من أعلام الثقافة العربية والإسلامية، وشاعراً فصيحاً مُلهَماً، وناقداً ومُفسّراً أصيلاً، هو الأديب المربي أستاذ اللغة العربية، عبدالله الطيب المجذوب، الذي وافته المنية بعد صراع طويل مع المرض...

ولد عبدالله الطيب في الثاني من حزيران (يونيو) سنة ١٩٢١ في بلدة «التميراب» غرب مدينة الدامر «ولاية نهر النيل» ونشأ حول بريق «الخلوات». وتنقل عبدالله في تعليمه بين مُدن السودان. فبعد دراسته في «الخلاوي» درس في مدارس كسلا والدامر وبربر، وكلية غردون التذكارية، والمدارس العليا (جامعة الخرطوم حالياً) ومعهد التربية ببخت الرضا.

و تخرج في المدارس العليا في الخرطوم سنة ١٩٤٢. ثم التحق بمدرسة الآداب وتخرّج فيها سنة ١٩٤٢. ثمَّ أُرسل في بعثة إلى جامعة لندن، وحصل على شهادة المعادلة في البكالوريوس في الآداب من كلية الدراسات الشرقية والافريقية سنة ١٩٤٨، ثم حصل على الدكتوراه سنة ١٩٥١، وكان موضوع أطروحته: «أبو العلاء شاعراً» ولم يكتف بالدرجة العلمية من بريطانيا بل تزوج بامرأته الإنكليزية الوحيدة السيدة غرازيلدا، وهو لم يتركها في لندن حينما عاد إلى السودان، على رغم أنهما لم يُرزقا أطفالاً، بل اصطحبها معه، ووقف معها وقفة رجل شجاع ونبيل في زمن كان الزواج بالأجنبية مشكلة اجتماعية في بلاد العرب والمسلمين.

وبعد التخرّج أصبح عبدالله محاضراً في كلية الدراسات الشرقية والافريقية في جامعة لندن ثم عاد إلى السودان، فعمل رئيساً لقسم اللغة العربية ومناهج المدارس المتوسطة في معهد بخت الرضا لتدريب المعلمين في السودان، ثم صار أستاذاً في قسم اللغة العربية في جامعة الخرطوم سنة ١٩٥٦، ثم صار عميداً لكلية الآداب فيها سنة ١٩٦١.

كان الطيب عضواً في هيئة تحرير الموسوعة الافريقية في غانا، وعضواً في مجمع اللغة العربية في القاهرة منذ سنة ١٩٦١، ورئيساً لمجمع اللغة العربية في الخرطوم، ورئيساً لاتحاد الأدباء السودانيين، وكان أستاذاً زائراً لعدد من الجامعات العربية والافريقية والبريطانية.

صدرت لعبدالله الطيب دواوين شعرية عدة هي: «أصداء النيل» (١٩٥٧)، و«اللواء الظافر» (١٩٦٨)، و«سقط الزند الجديد» (١٩٧٦)، (هذا الديوان يُذكّرنا بديوان «سقط الزند» لأبي العلاء المعري الذي أولع به عبدالله الطيب)، و«أغاني الأصيل» (١٩٧٦)، و«أربع دمعات على رحاب السادات» (١٩٧٨)، وصدرت له مسرحيات شعرية عدة.

ومن دراساته الأكاديمية: «المرشد إلى فهم أشعار العرب»، و«من حقيبة الذكريات» و«القصيدة المادحة» و«مع أبي الطيب»، ومن أعماله الإبداعية الأخرى: قصّة «نوار القطن» (١٩٦٤)، وله عدد من الكتب التي تجمع بين الشعر والنثر مثل: «بين النير والنور» (١٩٧٠)، و«التماسةُ عزاء بين الشعراء» (١٩٧٠)، و«ذكرى صديقين» (١٩٨٧).

وحصل عبدالله الطيب على جائزة الملك فيصل العالمية للآداب مناصفة مع الناقد المصري عز الدين إسماعيل الذي قال مُعلقاً على المناصفة: «حاشا أن أتقاسمها مع أستاذي». وكان ذلك في أيار (مايو) ٢٠٠٠، وسبب الحصول على الجائزة هو ما أنجزه الطيب من دراسات أدبية ثرّة، وما بذل من جهود علمية متميّزة في مجالات البحث المتعددّة، وفي حقول الفكر والأدب عموماً.

ومن كتبه المميزة كتاب «المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها» المكوّن من أربعة مجلدات، وهو يحلل فيه جوانب الشعر العربي وخصائصه منذ العصر الجاهلي وما تلاه من عصور. وقد استغرق تأليفه ٣٥ سنة، وصدر الجزء الرابع منه سنة ١٩٩٠.

وتضمّن الكتاب إشارات كثيرة لدوْر النقاد العرب في العصور المتتالية، وأرّخ لتطوّر القصيدة العربية، وتأثيرها في الشعر العالمي في الغرب والشرق، وقد قلّده طه حسين (قبل وفاته سنة ١٩٧٣) وسام النبوغ احتفالاً بصدور المجلدات الأولى من هذا الكتاب الموسوعي وكتب له مقدمة. ولعبدالله الطيب الكثير من المؤلفات والكتب الأخرى التي تتناول قضايا الشعر والنثر باللغتين العربية والإنكليزية، ومن كتاباته فصل باللغة الإنكليزية عن «الشعر الجاهلي»، وقد نشرته جامعة كمبردج البريطانية، وشارك في بحوث الموسوعة البريطانية بمواد: أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، ومصطفى المنفلوطي، وعباس العقاد؛ وألف كتابين آخرين هما «أبطال الجزيرة العربية» و«قصص من رمال الجزيرة العربية».

ولُقِّب عبدالله الطيب عن جدارة في السودان بعميد الأدب العربي.